دور المؤسسات العلمية في تعزيز القيم الأخلاقية للعيش الإيجابي المشترك وحماية إنسانية الإنسان مركز الكون

د/ علي الحوات
علم الاجتماع /جامعة طرابلس

مقدمة

عندما بدأت أعد هذه الورقة المختصرة أنتابتني الكثير والكثير من المشاعر والأفكار بحكم سني وعمري الكبير، وبحكم مهنتي واهتمامي كمدرس وباحث في العلوم الاجتماعية، إذ أنني أسمع أبناء جيلي من الكبار يتحسرون على انهيار القيم الأخلاقية، خاصة بين الشباب، ويتحسرون على بعد الناس في هذا العصر عن الالتزام بالقيم الأخلاقية، وسيطرة وهيمنة المصالح والقيم النفعية على تفكيرهم وسلوكهم ومعاملاتهم. وإزاء ذلك فأنا أطرح على نفسي كإنسان وباحث أمام هذه المشاعر أسئلة كثيرة، لعل من أهمها: هل إنسان هذا العصر أو حضارة هذا العصر فقدت القيم الأخلاقية ؟ ولم تعد هناك إلا قيم واحدة كبيرة هي (المنفعة والمصلحة) ؟ هل تطورت الحضارة الإنسانية وفقدت خلال هذا التطور أجمل ما في الإنسان وهي القيم، وبخاصة قيم الحق والخير والجمال. ما معنى ذلك؟ هل تجرد الإنسان من كلمة قيمة إلا قيمة واحدة؟ وهي المصلحة الذاتية للفرد أو الجماعة؟ إذن يظهر سؤال آخر: أي ما معنى للحياة والدنيا؟ إذا أصبح سكان هذه الأرض يتعاملون بدون قيم، إذا ما الفرق بيننا كبشر وبين المخلوقات الأخرى التي ليس لها أي قيم؟ إلا قيمة واحدة ، وهي الوجود المادي البيولوجي ، والذي يتم المحافظة عليه بشكل غريزي فقط . وإذا كانت هذه الأسئلة تقود الإجابة عليها الى أن إنسان هذا العصر أو حضارة هذا العصر

تسير نحو اللاقيم واللامعايير ، وبالتالي اللاإنسانية . فنحن إذن نسير ولا شك نحو أزمة حضارية كبرى ، وأصبح عصرنا هذا خلق لنا مشاكل وتحديات أكثر مما أوجد لنا حلولاً لمشاكلنا ، وفي مقدمتها الفقر والجوع والمرض والجهل . وهل معنى ذلك أننا نعيش بدون قيم وبدون معنى ؟ وبدون غاية وهدف لوجودنا ؟ سوى وجودنا البيولوجي المادي . وأصبحنا نعيش فقط للمحافظة على وجودنا المادي ، ونعيش للاعتداء على بعضنا البعض مدفوعين في ذلك برؤية ضيقة لوحدنا ، أو رؤية أحادية التفكير والبصيرة والهوى . تلك هي في نظري إذن الكارثة الحضارية ، وهي أننا فقدنا قيمنا الإنسانية الكبرى ، وفي مقدمتها قيمة الإنسان والإنسانية ، وإذا كان للدين من مساهمة في ذلك ، فتتمثل هذه المساهمة في مساعدتنا على إغناء القيم وتعزيزها والمحافظة عليها ، لنحافظ على هويتنا الإنسانية التي تميزنا عن باقي المخلوقات ، ومهما كانت وجهة نظرنا في الدين ، فليس هناك دين على وجه الأرض بما في ذلك الديانات الوضعية ، يخلو أو بدون قيم أخلاقية ، بل الدين هو المعرفة ، والمعرفة هي الدين ، والدين هو الأخلاق والأخلاق هي الدين . فالدين من أهم مرجعيات الإنسان في الماضي واليوم ، للتمسك بقيم الإنسان وحماية الإنسانية . وإنني كإنسان وباحث أعتقد بأنه حان الوقت وظهرت الضرورة لإعادة البحث في الأديان واكتشاف كنوزها المعرفية والأخلاقية وتوظيفها لإثراء الفكر الإنساني ، وتعزيز القيم الأخلاقية وتوظيفها لبناء مجتمع الحرية الإنسانية ، ومجتمع التنمية والسلام والاستقرار في العالم . وإنني من تعليمي السابق في الدراسات العليا في أمريكا في السبعينيات من القرن الماضي كم كنت معجباً وفخوراً بجهود التعليم الأمريكي بكل مراحله ومستوياته الأساسية والثانوية والجامعية ، لاستئصال جدوى التعصب الديني ، والتعصب العرقي والثقافي ضد الأمريكان السود ، وضد الأمريكان من أصول مختلفة عرقية غير أوروبية ، واختفاء هذا التعصب ليحل محله ثقافة إنسانية أمريكية مشتركة بين جميع أبناء أمريكا مهما كانت أديانهم وخلفياتهم العرقية والثقافية . وما أشبه

اليوم بالأمس ، فإذا كنا اليوم نشكو من ضعف القيم الأخلاقية في العالم ، فذلك لأننا لم نكتشف مخزون القيم الأخلاقية والقيم الإنسانية في الأديان المختلفة ، وركزنا فقط على مظاهر وجوانب الفرقة والاختلاف ، وبالتالي تفرقنا وتصارعنا وتعاركنا كبشر ، وأصبحنا أعداء لبعضنا البعض ، بدلاً من أن نكون أخوة في الإنسانية ، وأصدقاء وجيراناً متعاونين في القرية الكونية الواحدة التي تبني ملامحها وقواعدها حركة العولمة في العالم . وهنا أقول لنفسي إذا كانت العولمة تفتح أسواق التجارة والعمل والاقتصاد ، فأجدر بها أولاً أن تفتح قنوات الحوار والتواصل الإنساني والحوار الثقافي والديني مع احتفاظ كل إنسان وكل مجتمع صغيراً أو كبيراً كان بخصوصيته الدينية والثقافية ولكنها خصوصية منفتحة على نفسها والآخرين ، وهذا ما يتطلب ويستدعي من الجميع مؤسسات علمية أو تربوية أو دينية ، أو علماء وسياسيين ومفكرين ، أن يحافظوا على القيم الأخلاقية للإنسان ، بل ويطوروا هذه القيم بحيث تسهم وتساعد على بناء مجتمع العيش الإيجابي المشترك ، ومجتمع التنمية المستدامة ، ومجتمع السلام والأمن والآمان للجميع على وجه الأرض .

- ***الهدف والغاية .***

تهدف هذه الورقة الى مناقشة وتحليل العلاقة بين المؤسسات العلمية والقيم الأخلاقية في هذا العصر ، والمقصود بالمؤسسات العلمية هنا كل المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية ، مثل الجامعات والمختبرات العلمية والمعاهد التربوية ، ومنابر الفكر والثقافة التي توجه الإنسان ، وتؤثر أو تصنع قيمه وأحكامه ، وبالتالي سلوكياته واختياراته في الحياة اليومية لذاته وللآخرين .

أما المقصود بالقيم الأخلاقية في هذه الورقة ، فهي الأحكام والمعايير والقيم الأخلاقية التي يتمسك بها الإنسان ، وعلى ضوئها ينظر الى نفسه والى الآخرين (ناظراً ومنظوراً إليه) ، وأثناء هذه العملية التفاعلية الثقافية الأخلاقية بين الذات والآخرين ، يتخذ الإنسان مواقف

أخلاقية من نفسه والآخرين ، وينتج عنها تصرفات فردية أو جماعية قد تسهم في ازدهار الحضارة الإنسانية ، أو تخلفها ورجوعها الى درجات إنسانية وحضارية متدنية ، كما هو الحال في عالمنا اليوم المليء بدعوات صراع الأديان والحضارات والثقافات ، ومثل هذه الدعوات تباعد بين بني الإنسان ، وتخلق قيماً أخلاقية في غير صالح الإنسان والإنسانية جمعاء . إنها دعوات تبني قلاع الحروب بدلاً من بناء المدارس والمستشفيات ، إنها دعوات تباعد وتزيد من الاختلاف بين بني الإنسان بدلاً من أن تقرب وتبني جسور التواصل والحوار لبناء ثقافة إنسانية مشتركة ضرورية للجميع ، وحيوية لمصالحهم وسبل عيشهم المشترك في الكون .

وأمام هذا الواقع الإنساني والأخلاقي فستحاول هذه الورقة أن تحلل وتحدد الدور الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات العلمية بمختلف أنواعها ومستوياتها لتعزيز القيم الأخلاقية للعيش الإيجابي المشترك وحماية إنسانية الإنسان مركز الكون ، خاصة وأن الأديان تضم مرجعيات ومصادر غنية بكل القيم الأخلاقية والإيجابية التي تعزز تعارف وتضامن وتعاون الإنسان مع الإنسان ، وإرساء دعائم العيش الإيجابي المشترك بين البشر ، وهذا العيش الإيجابي المشترك يتطلب فيما يتطلب قيماً أخلاقية أساسية ، من بين أهمها :

1. الإيمان بحرية الإنسان وإرادته وخصوصيته .
2. العدالة الإنسانية والحق في الرزق والعيش الكريم .
3. ومهما اختلفت الأديان واتفقت ، فالإنسان واحد ، والمجتمع الإنساني واحد ، وبالتالي هناك ضرورة لبناء قاعدة أو قواسم أخلاقية مشتركة تعزز الحضارة الإنسانية وتحمي إنسانية الإنسان مركز الكون من التعصب والتحيز والتهميش ودعوات الصراع الحضاري والديني التي لا تزيد الموقف إلا تعقيداً وصعوبة بين مختلف الثقافات والأديان .

إن دور المؤسسات العلمية إزاء تطورات العصر وما أفرزه من قيم أخلاقية سلبية يظهر بجلاء أهمية المؤسسات العلمية ومسئوليتها الأخلاقية في إنتاج رؤية ثقافية تؤكد قيم العدالة الإنسانية ، واحترام الإنسان وخصوصيته الثقافية وإرادته الإنسانية الحرة ، وفي ذات الوقت يجب على هذه المؤسسات العلمية أن تبتكر الأساليب والمؤسسات التي تعزز إنتاج قيم أخلاقية ضرورية للعيش الإيجابي المشترك في العالم ، بل في كل المجتمعات الإنسانية ، كل على حدة ، ومن أهمها :

1. قيم التواصل والحوار بين الأديان والثقافات الإنسانية المختلفة لإنتاج رؤية أخلاقية مشتركة ، دافعها الأساسي مسئوليتنا جميعاً نحو أنفسنا كبشر ، وقد استخلفنا الله سبحانه وتعالى على الأرض لتعميرها ونشر الحرية والسلام والأطمئنان بين من عليها من الإنسان والحيوان والنبات .
2. قيم التسامح والتفاهم والإنصات لبعضنا البعض ، والاعتراف بأن لكل إنسان – مهما كان عرقه ولونه ودينه – آلاما وآمالا وطموحات في الحياة الدنيا
3. الإيمان بأن لكل لإنسان ولكل جماعة الحق في العيش والبقاء والنمو ، وتوفير بيئة إنسانية آمنة من الأخطار المادية وغير المادية .
4. الإيمان بكل ما يتطلبه العيش الإيجابي المشترك من قيم ورؤى أخلاقية إيجابية التي قد تتطلب بالضرورة إدخال تعديلات كثيرة على المناهج التعليمية في العالم وخاصة فيما يتعلق بالصور الإنسانية التي ترسمها هذه المناهج التعليمية للإنسان والمجتمعات والأديان في العالم
5. الإيمان بالمصير الإنساني المشترك مهما اختلفت الأديان والثقافات ، فعالم اليوم مترابط ومتفاعل بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، فما يحدث في أي جزء من

العالم يترتب عنه نتائج وتداعيات وآثار في جميع أجزاء الدنيا ، ولذلك فهناك قيما كبرى ، وهي المسئولية الجماعية والدولية ، فكل منا مسئول عن الآخر .

والورقة منذ البداية .. وفي النهاية تفترض وستدافع عن هذا التوجه الأساسي ، وهو : ما لم تعمل المؤسسات العلمية بكل أنواعها وبرامجها وفي كل مكان ، على إغناء وإثراء وصيانة القيم الأخلاقية الإيجابية التى تؤكد التعاون والتفاهم وتضامن البشر مهما كانت أديانهم وأعراقهم وألوانهم وثقافتهم ، فإنني لا أرغب أن أكون متشائماً ولكن أبسط ما يمكن قوله هو العودة بالإنسان والحضارة الإنسانية الى الخلف والبدائية والوحشية . فالإنسان قبل أن يكون كائناً مادياً بيولوجياً ، فهو كائن إنساني وأخلاقي ، والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله في الإسلام (وأنك لعلى خلق عظيم) .

- ***المؤسسات العلمية والقيم الأخلاقية : مسئولية حضارية وتاريخية .***

عند البحث عن دور المؤسسات العلمية في تعزيز القيم الأخلاقية طبقاً للتعريف المحدد لهذين التطورين تظهر جلياً المسئولية العلمية والأهمية النظرية والعملية لهذه المؤسسات العلمية ، والدور الذي يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات العلمية في تعزيز وإثراء القيم الأخلاقية للإنسان والإنسانية في هذا العصر ، استند هذا الإسهام أو الدور على تراث الأديان ورؤيتها للكون والإنسان وعلاقتهما ببعضهما بعضاً ، أو علاقة الإنسان بغيره من الناس . أو استند دور هذه المؤسسات العلمية على التراث الإنساني العالمي ، والقواسم الإنسانية المشتركة بين المجتمعات والشعوب والثقافات ومهما كانت المصادر والمرجعيات ، فإنني أعتقد أن لهذه المؤسسات العلمية دورا مهما جداً ، أو مسئولية حضارية وتاريخية أمام نفسها ، وأمام الضمير العالمي للإسهام بل وقيادة الفكر الإنساني لتعميق وتطوير وإثراء القيم الأخلاقية التي تقرب بين أصحاب الأديان والثقافات والشعوب ، بل وإنتاج القيم الأخلاقية التي ترسي دعائم السلام والتفاهم العالمي والأخوة الإنسانية بين مختلف الأديان وأتباعها .

وبطبيعة الحال إن بحث هذا الموضوع صعب ، بل هو شامل وعميق ، ويتطلب الكثير من العمل والتفكير من مختلف أصحاب الأديان ومؤسساتهم ومنظماتهم المختلفة . وكما أشرنا في بداية هذه الورقة ، فإننا نعرض لهذا الدور المهم للمؤسسات العلمية من زاوية التعليم والتربية كمؤسسات علمية من بين أهم أهدافها إنتاج القيم الأخلاقية التي تحفظ الحضارة الإنسانية وتعزز حماية الإنسان والإنسانية من الانحراف نحو اللامعيارية في القيم ، ونحو الفراغ الأخلاقي في عقل الإنسان والإنسانية ، أو الانحدار نحو مجتمع العداوة والبغضاء بين بني البشر ، ومما يهيء البيئة المناسبة لنمو مجتمع الوحشية الشرسة التي تشبه المجتمعات البدائية في بداية تطور الإنسان في الأدغال والغابات . وفي نظري أن أصعب التحديات التي تواجه المؤسسات العلمية – مهما كانت أكاديمية أو ذات طابع ديني – الدعوات التي تدعو للصراع الحضاري ، والصراع الديني والثقافي بين الأديان المختلفة، وبخاصة الدين الإسلامي والدين المسيحي،فهذه الدعوات مهما كانت دوافعها ومنطقها وغاياتها لا تزيد الموقف العالمي الآن إلا تعقيداً،ولا تزيد المسافة بين الأديان إلا بعداً،ولا تزيد الهوة إلا عمقاً.بل أن هذه الدعوات التي تظهر في العالمين الإسلامي والمسيحي لا لاتزيد الموقف إلا تعقيداً وصعوبة.فكيف نعمق الصراع الديني بين البشر ، وهم – أي هؤلاء البشر – في حاجة لبعضهم البعض ، وفي حاجة وضرورة للعيش الإيجابي المشترك . ولنتصور فقط الآن الصعوبات والعراقيل التي يواجهها الإنسان الآن في التنقل والسفر بين بلدان العالم ، ويحدث هذا رغم كل مفاهيم حرية الإنسان ، وحرية التنقل ، وحرية الاختيار . وإنني أعتقد كباحث في هذا الموضوع بأنه ما لم تتكاثف الجهود لردم الهوة وتقريب المسافة بين الأديان ومواقفها الأخلاقية ، وتكاثف الجهود لبناء جسور قوية للتواصل والحوار البناء بين الأديان والثقافات والحضارات ، فإن النتائج والتداعيات لا يعرفها أحد ، وأقربها الى الذهن

الاضطرابات وعدم الاستقرار الذي يعيشه العالم الآن،ومنذ نهاية القرن الماضي، والتي تنعكس علينا جميعاً مهما كانت عقيدتنا الدينية ، ومهما كانت مواقفنا في خارطة العالم "[1]" .

- ***المؤسسات التعليمية والتربوية وتعزيز القيم الأخلاقية .***

إزاء هذا الواقع الإنساني الذي تطور إيجابياً من الناحية المادية والتقنية ، وتطور سلبياً من الناحية الاجتماعية والأخلاقية . يظهر السؤال المهم والمنطقي جداً : ما العمل ؟ لكي نحافظ على هويتنا الإنسانية ، ونحمي إنسانية الإنسان مركز الكون . والجواب : أن العمل كثير ، والطريق طويل ، ومن وجهة نظر هذه الورقة ومع أهمية المؤسسات الأخرى السياسية والاقتصادية والدولية ، فإن مؤسسات التعليم والتربية والثقافة ، وعلى مختلف مستوياتها ، هي المسئول الأول في العالم ، على تعزيز القيم الأخلاقية ، وإنتاج رؤية علمية وثقافية جديدة تعيد الإنسان الى هويته الإنسانية ، وتعمق في ذهنه المسئولية الحضارية ، وتفتح آفاق التعاون والتضامن الإنساني ، ومسئولية الجميع نحو الجميع ، بغض النظر عن أديانهم وثقافتهم وخصوصياتهم . ومثل هذه المسئولية المناطة بالمؤسسات العلمية تتطلب ولا شك فلسفة تربوية وتعليمية ذات مستويين أو مساريين ، باختصار هما :

- مستوى الفلسفة والرؤية النظرية للقيم الأخلاقية .
- مستوى المؤسسات والبرامج ومشروعات العمل .

وفيما يلي تعليق على هاذين المستويين :

– **أولا : مستوى الفلسفة التربوية والرؤية النظرية للقيم الأخلاقية :** إن عالمنا اليوم في حاجة الى رؤية القيم الأخلاقية من منظور تربوي آخر وجديد ، قوامه ما يلي :

---

[1]– أنظر:د.علي الحوات (2010)،حول مشروع الرئيس الأمريكي "أوباما"،تحسين العلاقات بين العالم الإسلامي وأمريكا(بداية الطريق)،ورقة عمل بعنوان (العالم الإسلامي وأمريكا،رؤية تربوية لبداية جديدة)،طرابلس،ورقة عمل غير منشورة .

1. إن جميع البشر مهما كانت أديانهم وثقافتهم هم في حاجة لبعضهم البعض لضرورات الحياة والعيش الإيجابي المشترك . وأبن خلدون الفيلسوف العربي خير من عبر على ذلك منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، الذي أكد أن البشر يعتمدون على بعضهم البعض في الحياة وكسب الرزق ، والدفاع عن أنفسهم من أنفسهم ، وبلغة العصر أن جميع البشر مهما كانت أديانهم وعروقهم يواجهون تحديات واحدة ، وحياة إنسانية مشتركة ، وقد اختفت منها حواجز الجغرافية والسياسة والثقافة . ولعل من الأمثلة على ذلك أن الإنسان في عالم اليوم أينما كان موطنه ، ومهما كان معتقده ، يواجه تلوث البيئة وانتقال الأمراض ، والتغيرات المناخية ، والجريمة . وبالتالي فالإنسان بالجمع يواجه مصيراً إنسانياً واحداً ، خيراً أو شراً على السواء . والواجب الأخلاقي يتطلب الوصول الى قيم أخلاقية واحدة أو اقتصادية ذات رؤية مشتركة للحياة وتضمن تعاون وتكامل الجميع ، لخلق عالم أفضل للجميع ، يحتفظ فيه كل واحد بخصوصيته الدينية والثقافية ، ولكنه لابد أن يتعامل ويتعايش إيجابياً مع الآخر في فضاء عالمي وإنساني مشترك ، ولكل واحد فيه الحق في الحياة والبقاء ، ويحتكمون في ذلك الى الشريعة الإنسانية الدولية ، والى منظومة من القيم الأخلاقية التي من ضمن أهم شروطها حق الإنسان في الحياة والعيش بمنظوره المستمد من دينه وتراثه وثقافته ، ومع انفتاح هذه المنظومة الأخلاقية الخاصة على منظومة من القيم الأخلاقية الكونية المشتركة بين جميع الناس والأديان والثقافات والأعراف .

2. إن البشر في عالم اليوم في حاجة الى فلسفة تربوية أخرى تهدف الى التقريب بين البشر وأديانهم ، وليس خلق الرؤى والتصورات الذهنية التي تباعد وتفرق بين البشر

، بل تجعلهم أعداء لبعضهم البعض الكل ينتظر الوقت المناسب للقضاء على الآخر ، فالحاجة اليوم ماسة جداً لكل الاعتبارات والمعطيات الى فلسفة تربوية تؤهل وتعد الطلاب في كل المستويات العلمية الى معرفة واكتشاف الآخر ، مهما كان هذ الآخر إيجابياً وليس سلبياً ، وأن الآخر مهما كان دينه وعقيدته هو شريك أساسي في الحياة وفي الكون ، ولكل بيئته الثقافية والاجتماعية التي جعلت منه هذا أو ذاك الإنسان ، ولذلك فالاختلاف هو إنساني ووليد النسبية الجغرافية والثقافية ، وهذا الاختلاف هو تنوع يعطي للحياة زخماً وتفسيراً لكييف الإنسان ، وأنه مهما كان هذا التنوع فهو يعيش في وحدة الإنسان ، والحضارة الإنسانية ، بل يعطي جمالاً وتعبيراً عن عظمة الإنسان والحضارة الإنسانية ، ومؤشراً لإسهام كل الناس في الحضارة الإنسانية كلً بعقله وطريقته الخاصة ، ويظل الآخر واضحاً تماماً . يوجد مكان في العالم لكل إنسان مهما كان لونه ودينه وعرقه وثقافته إذا ما سادت قيم العدالة ، وقيم المساواة وقيم الحق في العيش والحياة لكل الناس ، فخيرات الأرض كثيرة يستطيع كل إنسان أن يحصل على نصيبه العادل منها إذا ما كان مؤمناً فعلاً بالقيم الإنسانية المشتركة بين الجميع .

3. لقد جاء في الإعلان العالمي بشأن التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين – والصادر عن المؤتمر العالمي حول التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين "الرؤية والعمل" ، منظمة اليونسكو "باريس" 5-9-1998/10 "[2]" – توصية وقرارا يدعوان بلدان العالم الى مساعدة طلابها في الجامعات والمعاهد على :مساعدة الطلاب

[2]- منظمة اليونسكو (1998) ، الإعلان العالمي بشأن التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين "الرؤية والعمل" ، باريس ، منشورات اليونسكو ، صص (3 – 4) .

على فهم الثقافات الوطنية والإقليمية والدولية والتاريخية وتفسيرها ...... وتعزيزها وتطويرها ونشرها ضمن إطار التعددية الثقافية والتنوع الثقافي .

المساعدة على حماية وتعزيز القيم المجتمعية عن طريق ضمان تلقين الشباب القيم الأساسية التي تنهض عليها المواطنة الديمقراطية ، وعن طريق فتح مجالات للتفكير النقدي المستقل ، تساعد على مناقشة الخيارات الاستراتيجية وتعزيز التوجهات ذات النزعة الإنسانية .

وبالنسبة للدور الأخلاقي والاستقلال والمسئولية العلمية والأخلاقية للأساتذة الجامعيين باعتبارهم هم الفاعلون في المؤسسات العلمية التي تؤثر وتوجه القيم الأخلاقية ، فعليهم – أي الأساتذة الجامعيين :

أ) صون وتطوير القيم الأخلاقية،سواء في أعمالهم العلمية أو في تدريسهم للطلاب،أوإجراء البحوث والدراسات ذات المضمون والتداعيات الأخلاقية .

ب) القدرة على إبداء الرأي بشأن المشكلات الأخلاقية والثقافية والاجتماعية بكل الاستقلال والمسئولية على ممارسة السلطة الفكرية التي يحتاج إليها المجتمع لترشيده الى التفكير والفهم والعمل .

ج) تسخير قدراتهم الفكرية ومكانتهم الأدبية للدفاع عن القيم المقبولة عالمياً ، والسعي الحثيث لنشرها بما في ذلك قيم السلام والعدالة والحرية والمساواة والتضامن الإنساني "[3] .

– ثانياً : مستوى المؤسسات والبرامج ومشروعات العمل لتعزيز القيم الأخلاقية .

---

[3]- نفس المصدر السابق ، اليونسكو ، الإعلان العالمي بشأن التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين "الرؤية والعمل" ، نفس المصدر السابق ، (1998) ، صص (3 – 4) .

إن الرؤية المطروحة سابقاً للقيم الأخلاقية في هذه الورقة تتطلب ولا شك استحداث أو تطوير مؤسسات وبرامج ومشروعات عمل ، لوضعها – أي الرؤية الإنسانية – موضع العمل ، وجزءًا من حياة وسلوك الناس في الواقع اليومي المعاش وهذا الطرح يتطلب مؤسسات وبرامج عمل من بين أهمها ما يلي :

1. تثقيف الطلاب في المدارس والجامعات حول الأديان المختلفة ، دراسة الأديان في إطار ومنهج مقارن ، والتأكيد بأن جميع الأدايان تدعو للتعارف والتسامح والحوار بين الشعوب والأمم ، والسلام العالمي . وربما يتطلب هذا الطرح توصية أو قرارا من الأمم المتحدة عن طريق منظمتها التربوية (اليونسكو) بإلزام جميع الدول في العالم تدريس الأديان المقارنة بمنظور المعرفة ، ومنظور التفاهم والتسامح ، وبناء قيم أخلاقية للإنسان تعزز السلام العالمي والتعايش الإيجابي المشترك بين جميع أبناء الإنسانية .
2. تكاثف الدول والمؤسسات والهيئات الاقتصادية الإقليمية والعالمية ، وبخاصة الدول الغنية لنشر التعليم الأساسي والثانوي خاصة بالنسبة للبلدان الفقيرة في العالم الثالث ، والتي لا تسمح إمكاناتها المالية والفنية بالتوسع في نشر التعليم الأساسي والثانوي ، فالأمية وفقر العقل وفقر الجيب وفقر الأرض هي أنسب البيئات لنشر أفكار التطرف والتعصب والجمود والانغلاق على الذات ، وهنا تذبل وتموت القيم الإيجابية ، وتظهر وتنمو القيم السلبية .
3. تشجيع ودعم الجامعات ومؤسسات التعليم العالي باستحداث مناهج تعليمية تهتم بتطور العالم المعاصر التقني والصناعي ، وعلاقة ذلك بالقيم الأخلاقية للإنسان والحاجة الى قيم وقواعد أخلاقية جديدة مرتبطة بمعالجة وإيجاد حلول للتحديات

والظواهر الاجتماعية السلبية التي أفرزتها التطورات العالمية الصناعية والتقنية سواء في العالم النامي أو العالم الصناعي المتقدم .

4. استحداث كراسٍ جامعية في مختلف الجامعات في العالم حول دور الأديان في إنتاج المعرفة الإنسانية ، بما في ذلك إنتاج القيم الأخلاقية الإيجابية ، وتعريف أبناء كل دين بالديانات الأخرى في العالم ، كأن يتعلم المسيحي عن الإسلام ، ويتعلم المسلم عن المسيحية واليهودية ، وعلى أن تنتج مثل هذه البرامج التعليمية والتربوية الفرص لتنوع الآراء والأفكار والتفسيرات ، بحيث يتم اكتشاف آفاق جديدة لحوار الأديان التي تقود الى المزيد من التسامح والتواصل والتفاهم العالمي ، ويتحرر الإنسان من أحادية التفكير ، ويمكن أن يرى الأمور من زوايا وجوانب مختلفة .

5. وفي كل هذه البرامج يجب الابتعاد عن منهجية توجيه الاتهامات بين الأديان ، أي كل دين يوجه الاتهام للدين الآخر .

6. مشاركة المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية في حوار الأديان والثقافات والتواصل النقاشي بين شباب مختلف الأديان ، وتشجيع المنظمات غير الحكومية لإدخال برامج الحوار والتواصل بين مختلف الأديان ، وخاصة إدماج الشباب في نشاطات وبرامج هذا الحوار .

7. تطوير برامج ثقافية وفكرية إعلامية يتم من خلالها توضيح وشرح مفاهيم الأديان للقيم الأخلاقية وأهميتها للإنسان والحضارة الإنسانية ، وأنه ما لم تحترم الأديان وتتم معرفة ثقافة أصحابها لن يتحقق التعاون بين الناس ، ولن ينتشر السلام في ربوع العالم . وفي هذا السياق يمكن التفكير في برامج إعلامية مرئية ومسموعة تنتج بشكل مشترك بين بلدان العالم ، وتهدف الى تعرف الناس على أديان بعضهم البعض برؤية إيجابية وليس برؤية سلبية قوامها تحقير وإهانة دين معين ، ووصف أتباعه بالتخلف والدونية

، فذلك لن يحل أي مشكلة على الإطلاق في العالم ، فالإنسان دائماً مستعد للدفاع عن عقيدته ووجوه المادي والمعنوي .

8. استحداث شبكة عالمية لحوار الأديان والثقافات ..... قاعدة بيانات لمختلف البحوث والدراسات المتعلقة بالأديان ، وبخاصة في إطار مقارن ، ومن شأن هذا العمل أن يقرب العقول والقلوب من بعضها بعضاً ، ويؤدي الى إثراء المصادر والمرجعيات التي يعود إليها الناس والعلماء والباحثون لمعرفة الأديان ودورها الإيجابي في تطوير القيم الأخلاقية وحماية إنسانية الإنسان .

- ***خلاصة وملاحظات ختامية .***

حاولت هذه الورقة مناقشة دور المؤسسات العلمية في تعزيز القيم الأخلاقية ، ولتحقيق هذا الهدف عرفت المؤسسات العلمية في هذه الورقة بأنها مؤسسات التعليم والتربية ومنابر الفكر والثقافة ، وعرفت القيم الأخلاقية بأنها المعايير المستمدة من الأديان ومن تنوع التراث الإنساني العالمي ، وبناء على ذلك تم مناقشة ما يمكن أن تقدمه المؤسسات التربوية والتعليمية لتعزيز وتطوير القيم الإنسانية لتحقيق وحماية إنسانية الإنسان في هذا العصر المليء بصراعات الأديان والأديولوجيات الفكرية المختلفة . ومن خلال المادة التي جمعتها وتحليلها لهذه الورقة ، تم التوصل الى الملاحظات والنتائج التالية :

1. تعد مؤسسات التعليم والتربية ومنابر الفكر والثقافة بكل أنواعها ، هي الأمل الكبير للإنسان والإنسانية لتجديد وتطوير القيم الأخلاقية التي تجمع البشر نحو قاعدة أخلاقية إنسانية مشتركة بين جميع الأديان والثقافات في العالم .
2. والى جانب مؤسسات التعليم والتربية ، هناك المؤسسات والبرامج ومشروعات العمل غير الرسمية والمرتبطة أيضاً بالتعليم والتربية ، ويأتي دور هذه المؤسسات الحرة غير الحكومية في تثقيف الرأي العام العالمي وحراكه نحو المزيد من الحوار والتفاهم

العالمي لبناء مجتمع السلام العالمي ، حيث يعيش فيه كل إنسان بخاصية وهوية ذاتية ، وخاصية عالمية إنسانية لا تتعارض مع الأولى ، ولكن تكملها وتعزز وتغني القيم الأخلاقية الضرورية للعيش الإيجابي المشترك في عالم اليوم عالم القرية الكونية الواحدة .